جحيم الضواري

لا شيء يرعب الوحش الضاري كالنار اذا اشتعلت في ما يجاورهُ فترى الضاربين في القفار التي يخشون فتك ضواريها يضرمون النار حولهم فيتقيها الاسد والنمر والفهد وكل الضواري. واذا اشتعلت النار في غابة اوغوطة كما يحدث مرارًا كثيرة في اميركا واستراليا نفر منها كل ما فيها من انواع الحيوان وداس بعضهُ بعضًا كانهُ أُصيب بجنة هذا ومجال الهرب متسع امامهُ فكيف اذا كان في حظيرة مسوَّرة لا منفذ لهُ منها او اذا كان في اقفاص تحيط بها قضبان الحديد لا غرو اذا جُنَّ حقيقة قبل ان يسلم انفاسهُ

حدث ذلك على صورة تقشعرُّ لها الابدان في الثامن من شهر فبراير الماضي في مدينة بلتيمور من الولايات المتحدة الاميركية في حظيرة الحيوانات المعروفة بحظيرة بوستوك وهي اكبر حظائر الضواري التي تنقل من مكان الى آخر لاجل الفرجة فهلك فيها خمسون اسدًا وعشرة نمورة واحد عشر دبًّا وسبعة فهود وستة عشر ذئبًا وخمسة وخمسون سعدانًا وعشرون كلبًا وستة نسور وثلاثة شواهين وسبعون طائرًا من نوادر الطير وخمسون من الافاعي وغيرها من الزحافات ونعامتان وخمسة قناقر وغير ذلك من الضواري والكواسر والسوام اربع مئة حيوان او تزيد

كتب بعضهم وكان على مرأى من النار ان جهنم فغرت فاها لابتلاع هذه الوحوش فلاقت منيتها جزعة مضطربة وهي تزأر وتعوي وتصيح وتصرخ وتئن وتبكي وتتواثب وتتصارع ويمزق بعضها بعضًا

والحظيرة اكبر حظائر اميركا والظاهر ان سلكًا من اسلاك النور الكهربائي لم يكن مفصولاً عن السلك الموازي لهُ فحميا واحرقا خشب السقف فامتدت النار حالاً في الحظيرة كلها امتدادها في الهشيم لانها مبنية من الخشب تغطيها الواح رقيقة من الحديد. وحدث ذلك بعد خروج آخر واحد من المشاهدين بنحو خمس دقائق فلم يصب احد منهم بمكروه. لكن شاعت الاخبار حالاً ان الضواري هربت من الحظيرة وتفرقت في انحاء المدينة تفترس اهاليها فساد الرعب وعمَّ الاضطراب والحقيقة ان الضواري لاقت حتفها في الحظيرة والذي نجا منها بقي مذهولاً لا يستطيع هربًا. فان احد المدرّبين اخذ يفتح اقفال الاقفاص عساهُ ينجي بعضها وهو لا يدري لحمقهِ انها تفتك بالناس اذا خرجت بينهم فرآهُ المدير المستر بوستوك وشفاهُ من هذا الجنون وكان قد اخرج اسدًا افريقيًا ودبًّا قطبيًا فلم يخطر لها الاَّ ان يتواثبا ويتصارعا ولو

عقلا لتيسّر لها الفرار واوقعا الرعب في المدينة كلها فزأر الاسد ووثب على الدب ووقف الدب على رجليهِ والتقاهُ بين ذراعيهِ وضمهُ الى صدرهِ وفغر الاسد فاهُ وقبض على عنق الدب ورفع الدب احدى قدميهِ وضربهُ بمخالبها ليبقر بطنهُ واقتتى الاثنان على الارض وجعلا يتمرّغان ويجأران ويزأران وقبل ان يتم لاحدهما الغلب على الآخر مدّت النار لسانها والتهمتهما . وخرج غيرهما من الضواري وغير الضواري لكنها وقفت حيرى الى ان وصلت اليها النار والتهمتها

وكان بين الاسود اسد كبير اسمهُ بروتس وهو الذي ربتهُ السيدة بينكا وكانت تدخل رأسها في فيهِ فلما وصل اللهب اليهِ وقف على قدميهِ وفغر فاهُ كما يفغرهُ حينما كانت تدخل رأسها فيهِ وجعل يزأر باعلى صوتهِ كأنهُ يناديها لتاتي لنجدتهِ ولما رأى ان لا منجد لهُ ولا معين جعل يهرُّ كالكلب واخيرًا ضاقت بهِ الدنيا فوثب على قضبان الحديد التي حول قفصهِ وحاول كسرها فلواها ثم حاول نهشها بانيابهِ والدم يتدفّق من فيهِ الى ان اندلع لسان النار اليهِ واخمد انفاسهُ

ومنها الاسد المسمّى ولس وهو الذي افلت مرةً في مدينة نيويورك ودخل اسطبلاً وافترس فرسًا وبقي هناك اياماً قبل ان تمكن اصحابهُ من القبض عليهِ وقد افترس خمسة رجال من حين وقع في قبضة الانسان ولا يعلم الاَّ الله كم افترس قبل ذلك اما الآن فشوتهُ النار شيًا .

وكان بين الاسود لبوة افريقية لها شبلان فحاولت انقاذها من النار جهدها ولما لم ترَ لها سبيلاً ضمتهما الى صدرها وغطتهما بذراعيها . شفقة الوالدة ولو من الضواري ووُجدت عظامها مع عظامهما رميمًا

ومن الضواري فهد اميركي اسود اسمهُ خرطوش وفهدة هندية مخططة اسمها صافو كان بينهما حاجز مخيف من الخشب فلما اضطرمت النار وثبت صافو على الحاجز ومزقتهُ كأنهُ ورق ودخلت عرين خرطوش فظن انها هي سبب النار فالتقاها بانيابهِ ومخالبهِ واشتدَّ بينهما الصراع وعلا زئيرهما حتى سمع فوق زفير النار عن بُعد شاسع . وبلغتهما النيران وهما متعانقان عناق الموت

وخرجت سبعة اسود من عرّيسها الى الساحة الوسطى وجعلت تثب لعلها تحلّق فوق الحاجز الذي يحيط بها وارتفاعهُ عشرون قدمًا فلا تبلغ اعلاهُ بل تقع في النيران ثم تثب ثانية وهي تزأر زئيرًا يصمُّ الآذان الى ان هلكت كلها

ووصلت النار الى الجاموس الافريقي وهو ضخم الجثة كثير الشحم واللحم فشوتهُ شيًا ووُجد لسانهُ مندلع من فيهِ كأنهُ راية اليأس

وكسّرت النار الالواح الزجاج التي على وجه مغاير الافاعي فانهضتها الحرارة وزادت نشاطها فقامت البوّاء الافريقية تسعى في دار المشهد سعيًا حثيثًا تطلب النجاة ولا تجدها وتبعها التنين

الهندي وجاءت وراءها ذوات الاجراس والاحناش والاصلال لكن النار ابطلت سعيها وشوتها الواحدة بعد الاخرى فتلوّت ويبست واشتعلت . وصبرت البواه على النار زماناً طويلاً الى ان عيل صبرها وسلّمت للاقدار . ويقال ان بعض السوام اقتحمت اقتحاراً لمّا لم ترَ لها من النار مناصاً

وكان بين الاسود اسد اسمهُ برنس وهو من اكبر الاسود التي وقعت في اسر الانسان . والظاهر انهُ رأى من اول الامر ان لا مناص لهُ فلم يقلق ولا حاول الهرب بل ربض في عرينهِ واضعاً كفيهِ على لبوتهِ كأنهُ يحاول وقايتها واقاما على ذلك الى ان خمدت انفاسهما . وكان بينها ثلاثة اسود اخرى عاشت بعضها مع بعض سنين كثيرة على الصفاء فلما دنت النار منها غلب غيظها على عقلها فتواثبت وتصارعت ومزّق بعضها بعضاً قبل ان اكتنفتها النيران

وكان في قفص ثمانية ادباب قطبية وصلت الى الحظيرة منذ ثلاثة اسابيع فقط من الاصقاع المتجمدة حيث كانت تلعب وتمرح على الجمد فراعتها النار وحرارتها وحاولت تكسير القفص الذي هي فيهِ لكن النار اراحتها من الجهاد حالاً

وقابل بعضهم مدام بينكا مربية الاسد برونس الذي كانت تدخل رأسها في فيهِ وسألها عما تريد ان تفعل فاجابتهُ والدموع ملءُ عينيها لا ادري ولا انا افكر في ذلك الآن ولكنني ما عدت ادخل عرين اسد في حياتي ولا عدت ارى اسداً وقد كان عندي هنا اربعة اسود كبيرة وثلاثة اشبال والاشبال ولدت في هذه البلاد واما الاسود فلم يولد منها في الاسر الاَّ واحد والثلاثة الباقية أُتي بها من جنوبي افريقية وانا التي ذللتها وعلمتها وكان في الحظيرة اسود اخرى من بلاد النوبة ولكنني لم اكن التفت اليها . وقد مضى على الاسود الاربعة سبع سنوات وهي معي واراني كنت متعلقة بكل واحد منها . ولما اردت ادخالها الى اقفاصها بعد المشهد الاخير ابت ان تطيع امري حتى اضطررت ان الجأ الى الشدّة ثم لما دخلتُ ودخلتْ معها جعلتْ تحاول منعي من الخروج بحركاتها وكأنها كانت تتوسّل اليَّ بعينيها حتى ابقى معها ودنت مني لبوة كانت شديدة النفار وسمحت لي ان اضع يدي حول عنقها ولم تكن تسمح لي بذلك قبلاً ولا ادري الآن هل شمّت النار في بداءة اشتعالها فخافت وجعلت تتوسّل اليَّ لابقى معها او ادركت ما ستصير اليهِ بقوة في نفسها لا ندري بها . وقد اثر فيَّ ما اظهرتهُ لي من التودّد واخبرت زوجي بهِ قبلما عرفنا باشتعال النار . ولم اكد البس ثيابي لاخرج الى السوق حتى سمعنا ان النار شبت في المشهد ولم يكد زوجي ينجو منها

وتمكن رجال المشهد من انقاذ بعض الحيوانات الكبيرة فانقذوا فيلة وحمارين وثوراً وبعض الجمال . وما بقي من الحيوانات ذهب كلهُ فريسة النار